أخر قصيدة أرسلها إلى «الآداب» قبل غيابه

المعجزة

خليل الخوري

قال في الصبح: لو أنها معي الآنَ
نشـردُ أو نتـسكّع في الطرقـاتِ
الغريبة
ثم أبصـرَ يمناه ترسمُ دائرةً في
الفراغِ
وترتدّ راعشةً يائسة..
قال عند الظهيرةِ: لو أنّها.. بيدَ أنّ
الفراغَ..
وكان دخان اللفافةِ يعلو ويرسمُ
شكل الثواني الجديبه
والمرارة في فمه وعلى صفحة
الخمر في كأسه الخامسة.
في المساءِ مضى.. ضائعاً في
الزحام
المدينة أعراس ضوءٍ، وغيم
الخريف يغامر
ما بين صيفٍ مضىً وشتاءٍ
يجيء..
قال: لو أنّها معيَ الآن.. نعبر هذا
الرذاذ،
ونبتلُّ بالماء والحبّ حتى العظام
وأنا بجميع افتتاني بها أتحدّثُ
عنها إليها
وأغامر في جزر الشذر في
مقلتيها
وأُثرثر عن عاشقٍ لا تضيء
شمسه دون إيماءةٍ من يديها
أتحدّث عن جسدٍ رائع في
تفاصيله
شاعرٍ غارق في تهاويلِهِ
وأباطيلِه.. عن فمٍ مستفزٍّ جريء
عن يمامٍ يلوّن الغمام
ينقر الثوبَ دون احتشامْ
وهي ممسكة بذراعي، صامتة،
تزدهي بمواسمها:
بفمٍ كَرَزٍ جبليّ يذوب عليه الكلام
ودمي موكبٌ كل حبّي به حاشية
بيدَ أنّ عيونَ المشاةِ الكئيبه..!
وتصادي الفراغ يعربدُ في اللهفةِ
الصاديه..!
حين عادَ إلى النُزُل في آخِر
الليلِ..
كان وحيداً بوحشته، والفراغ
شبح لاهث حوله، والظلام
بأساريره الجامدة...!
راح يبحث عن وجهها.. دقّتِ
الساعة الواحدة
فجأة شَهَقَ البرق في عتمة الغرفة
الباردة
وعلى غيمة من غيوم البلاد
البعيده
كان يبصرها فوق موجة نور وفي
ثوب جنيّةٍ ساريه
حولها مهرجان أغانٍ سعيده
وعلى فمها مهرجان..
لم ينم.. ذاب كل شجاه.. وذاب
الفراغ.. وكان
يتغيّر وقع الزمان
فرح دمه. كان يبحر في الضوء،
في عالم العطر
والشذر، يبصر مملكةً من نجومٍ
أنيقه
لم ينمْ.. ومليكة أيّامه المستفيقه...
وانسكاب الحنان
لم ينم.. لم تنم... كان يملأ كل
الدّنان
كلّما فرغت بالخُمور العتيقة..!

بغداد